

تفسير البحر المحيط

@ 290 الطرف ، وهو { عِنْدَكَ بِيَدَيْتَا } ، ثم بينت مكان القرب فقالت : { فَرَى
الْجَنَّةَ } . وقال بعض الطرفاء : وقد سئل : أين في القرآن مثل قولهم : الجار قبل
الدار ؟ قال : قوله تعالى { ابْنَ لِي عِنْدَكَ بِيَدَيْتَا فَرَى الْجَنَّةَ } ، فعندك هو
المجاورة ، وبيتاً في الجنة هو الدار ، وقد تقدم { عِنْدَكَ } على قوله : { بِيَدَيْتَا }
. { وَنَجَّيْنِي مِنَ فِرْعَوْنَ } ، قيل : دعت بهذه الدعوات حين أمر فرعون بتعذيبها لما
عرف إيمانها بموسى عليه السلام . وذكر المفسرون أنواعاً مضطربة في تعذيبها ، وليس في
القرآن نصاً أنها عذبت . وقال الحسن : لما دعت بالنجاة ، نجاها □ تعالى أكرم نجاة ،
فرفعها إلى الجنة تأكل وتشرب وتتنعم . وقيل : لما قالت : { ابْنَ لِي عِنْدَكَ بِيَدَيْتَا }
فَرَى الْجَنَّةَ } ، أريت بيتها في الجنة يبنى ، { وَعَمَلَاهِ } ، قيل : كفره . وقيل :
عذابه وظلمه وشماتته . وقال ابن عباس : الجماع . { وَنَجَّيْنِي مِنَ الْفِرْعَوْنِ }
الظَّالِمِينَ } ، قال : أهل مصر ، وقال مقاتل : القبط ، وفي هذا دليل على الالتجاء إلى
□ تعالى عند المحن وسؤال الخلاص منها ، وإن ذلك من سنن الصالحين والأنبياء . .
{ وَمَرْيَمَ } : معطوف على امرأة فرعون ، { ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَاهَا }
فَرَّجَهَا فَذَنَّفَخْنَاهَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا } : تقدم تفسير نظير هذه في سورة الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام . وقرأ الجمهور : ابنت بفتح التاء ؛ وأيوب السخثياني : ابنه بسكون
الهاء وصلماً أجراه مجرى الوقف . وقرأ الجمهور : { فَذَنَّفَخْنَاهَا فِيهِ } : أي في الفرج ؛
وعبد □ : فيها ، كما في سورة الأنبياء ، أي في الجملة . وجمع تعالى في التمثيل بين
التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للأرامل وتطييباً لقلوبهن . وقرأ الجمهور :
{ وَصَدَّقَتْ } بشد الدال ؛ ويعقوب وأبو مجلز وقتادة وعصمة عن عاصم : بخفها ، أي كانت
صادقة بما أخبرت به من أمر عيسى عليه السلام ، وما أظهر □ له من الكرامات . وقرأ
الجمهور : وكلماته جمعاً ، فاحتمل أن تكون الصحف المنزلة على إدريس عليه السلام وغيره ،
وسماها كلمات لقصرها ، ويكون المراد بكتبه : الكتب الأربعة . واحتمل أن تكون الكلمات :
ما كلم □ تعالى به ملائكته وغيرهم ، وكتبه : جميع ما يكتب في اللوح وغيره . واحتمل أن
تكون الكلمات : ما صدر في أمر عيسى عليه السلام . وقرأ الحسن ومجاهد والجديري : بكلمة
على التوحيد ، فاحتمل أن يكون اسم جنس ، واحتمل أن يكون كناية عن عيسى ، لأنه قد أطلق
عليه أنه كلمة □ ألقاها إلى مريم . وقرأ أبو عمرو وحفص : وكتبه جمعاً ، ورواه كذلك
خارجة عن نافع . وقرأ باقي السبعة : وكتابه على الأفراد ، فاحتمل أن يراد به الجنس ،

وأن يراد به الإنجيل لا سيما إن فسرت الكلمة بعيسى . وقرأ أبو رجاء : وكتبه . قال ابن عطية : يسكون التاء وكتبه ، وذلك كله مراد به التوراة والإنجيل . وقال صاحب اللوامح أبو رجاء : وكتبه بفتح الكاف ، وهو مصدر أقيم مقام الاسم . قال سهل : وكتبه أجمع من كتابه ، لأن فيه وضع المضاف موضع الجنس ، فالكتب عام ، والكتاب هو الإنجيل فقط . انتهى . .

{ وَكَانَتِ مِنَ الْقَانِتَيْنِ } : غلب الذكورية على التأنيث ، والقانتين شامل للذكور والإناث ، ومن للتبعيض . وقال الزمخشري : ويجوز أن تكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين ، لأنها من أعقاب هارون أخي موسى ، صلوات الله وسلامه عليهما ، وقال يحيى بن سلام : مثل ضربه الله يحذر به عائشة وحفصة من المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، ثم ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنت عمران ترغيباً في التمسك بالطاعات والثبات على الدين . انتهى . وأخذ الزمخشري كلام ابن سلام هذا وحسنه وزمكه بفصاحة فقال : وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمر المؤمنين المذكورتين في أول السورة ، وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم) بما كرهه ، وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه . ومن التغليظ قوله : { وَكَانَ كَافِرًا فَاِنَّ سَاءَ لِمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِخْلَاصِ وَالْكَتْمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ هَاتَيْنِ الْمُؤْمِنَتَيْنِ ، وَأَنَّ لَا يَشْكَلَا عَلَىٰ أَنَّهُمَا زَوْجَتَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فإن ذلك الفضل لا ينقصهما إلا مع كونهما مخلصين . والتعريض بحفصة أرج ، لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم) . وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدّاً يدق عن تفتن العالم ويزل عن تبصره . انتهى . وقال ابن عطية : وقال بعض الناس : إن في المثلين عبرة لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم) حين تقدم عتابهن ، وفي هذا بعد ، لأن النص أنه للكفار يبعد هذا ، والله سبحانه وتعالى أعلم . .